سميرة شرباتي

احلام كفر الشمس

مسرحية

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة الثقافة الفلسطينية
مطبوعات دائرة المرأة
مسابقة الابداع النسوي
السنة الأولى
الطبعة الاولى 1999
جميع الحقوق محفوظة
لوحة الغلاف للفنانة لطيفة يوسف
تصميم الغلاف: محمد صالح خليل

تقديم

أحلام كفر الشمس ، مسرحية من فصل واحد ، ومشاهد أربعة، أحداثها غير متعلقة بزمان أو مكان معينين، وأبطالها لا ينتمون الى سلطة بعينيها، إنما هم شخوص يتحركون في اللازمان واللامكان، حالمون بعصر تتلاشى فيه الجدران بين الرعية والراعي، يأملون أن تتحقق أحلام كفر الشمس فيعمل الجميع يداً بيد .

وقد حاولت فيها الخروج على النمط المسرحي المعروف ، فهي شبه مسرحية في الحوار والزمان والمكان، وهي شبه ملحمة في الحدث ، وشبه قصيدة في النفس الشعري الذي يلمسه القارئ من خلال قراءتها .

أرجو أن أكون قد وفقت الى القيام بعمل فيه إضافة نوعية لأدبنا الفلسطيني، والله الموفق .

الغيب .

الإبن: لكن يا أبتي ما القصد ؟ أولم تنكشف الأوراق ؟

الشقيق: ما دمت فضحت معايبنا وعرفت الأخطاء فسامح، صدرك أوسع من زلّات أوقعنا فيا الشيطان .

السلطان: بل كل منكم شيطان، وتظنون بأني أجهل ...

جمع: معاذا الله مولانا .

وزير: معاذا الله أن تجهل، ونحن نقر بالظلم الذي بالشعب أوقعناه .

السلطان: فكيف أقابل هذا الشعب ؟

الشقيق: بكلام حلو مولانا، بالطيبة قابلهم والشعب له مولانا طيبة قلب .

السلطان: ننصح بالطيبة، والطيبة لم تدخل في يوم قلبك، ومتى كان الطيّبُ يرضى أن يلحقه يوماًذل ؟ االموت ولا الذل، ولكن بالإرهاب زرعت الأرض، لم يجرؤ أن يرفع أحد رأساً في وجه أبي المجد .

الشقيق: بل رفعوا مولاي الفأس .

السلطان: وأشرت عليَّ بإخماد الثورة حين الثورة قامت، أخفيت الأسباب وقلت، زمرة فلاحين احتجوا وأجتاحوا والطرقات، أرداوا حرق بساتين الحكام .

وزير: ولقد كانوا ....

السلطان: لا ما كانوا.... أنت أبا ضرغام كذبت، كانوا مقهورين

أرادوا أن أنصفهم منه ومنك، كانوا يبغون التعبير عن الظلم المتأصل فيكم فأصبتم عيني بغشاوة، وشغلتم عقلي بحديث مفتعل ..

الوزير: حتى نحميك

السلطان: تحموني من شعب أعزل !! ممن تحموني ؟

الوزير: نحمي السلطة من فلاح أرعن كاد يقود مسيرة .

السلطان: كاد..... ولكن يا هذا ماقاد مسيرة متواطئ .

الوزير: ماذا تقصد ؟

السلطان: قولي واضح، إقرأ ياساعي ما جاء، في هذا التقرير السري .

الساعي: سمعاً مولاي السلطان .

« في التقرير السري هذا تتكشف للعين أمور، فلقد أطلعني صاحبنا المتواجد في أرض النور، أن أبا ضرغام تواطأ مع جمع الأعداء فباع لهم حتى عقل الأمراء وتسلل للكفر جرادٌ سكن شقوق القصر لديك، إبحث عنهم يامولاي، سلهم من أدخلهم قصرك ؟ سلهم حتى تعرف كيف تحاك مؤامرة من حولك، أصانعها ومَدبرأمر مكائدها ثعلب دولتكم ووزير الميسرة المدعو يامولاي أبو ضرغام .

الوزير: كذبٌ كذبٌ...

السلطان: لا تتهيج واسمع من عبدك سعفان .

الوزير: مَنْ سعفان ؟

السلطان: سعفان هديتك الأولى للسلطان .

الوزير: لا أذكر

سعفان: بل تذكر أولم تزرعني في القصر لأنقل أخباره .

السلطان: ها أنت سمعت فما الرد .

الوزير: هو يكذب حتى تمنحه في القصر مكاناً لا أكثر .

السلطان: دع سعفان، وثريا ؟

الوزير: من تلك ثريا ؟

السلطان: مطربة القصر الفنانة .

الوزير: ما شأني ؟

السلطان: أنت أتيت بها للقصر .

الوزير: تلك أتيت بها لتسري عنك وترفع عنك الهم .

السلطان: بل قل لأنام فلا أصحو من كأس شراب تملؤه كي تقتل في الفكر، الصحوة، وتنال ثرياك الحظوة حين تأتيك بالأخبار، وبدورك ...

الوزير: أبداً مولاي السلطان ، تلك خديعة، لا يمكن أن أفعل هذا..

السلطان: بل قل يا إبن أخي ما كان، من والداك ومن حاجبنا والوزراء وقاضي الدولة .

إبن الأخ: عفواً يا مولاي الصفح سمات السلطان المنصور.

السلطان: أصفح عنهم ؟! كيف وأنت على أحقاد الصفوة ياإبن أخي استيقظت ؟ ورفضت جميع مكائدهم، وشرحت الحال

وبلغت ؟

إبن الأخ: ما كنت لأرضى أن تُخْدَعَ عمّاه وتأخذك العزة بالإثم فيستشري الظلم .

السلطان: هذا الفارس كشف الظلمة عن عيني .

الشقيق: ولدي يكذب .

السلطان: ولدك صادق .

الشقيق: أستأذن مولاي أجئنا لُنَهزّاً ؟

السلطان: بل لا تتحرك، يا مسعود، أغلق باب القصر لئلا يتسلل أحد أو يهرب .

جمع: يا مولانا ...

السلطان: مولاكم أيام زمان، أما اليوم فأنتم خصمي لن أرحم أحد يتوطأ مع أعداء الكفر ليودي بالكفر الى حال الذل، يا مسعود قيد هذا... قيد هذا.. قيد هذا وكذا الإبن، أخي.. والحاجب خذ قاضينا من أذنيه، ضعهم في القبو المهجور، حتى تُرفع عنا الغمة فنحاكم كلاً بالدور، هذي الطغمة داء الكفر، هذي الزمرة خصم الكفْر، سنعاقبهم، سنعاقبهم حين يزول الليل وتشرق في كفر الشمس الأنوار، فلتنهض يا كفر الشمس واستقبل عمال الأس لينالوا في القصر الحظوة، ويكونوا للجيل القادم من أحضان الغيب القدوة .

الشعب، لا رزق المرفه والمؤله والأمير أو الوزير، هي أرضهم، هو خيرهم ولهم يعود، فهم الجنود العاملون لأجل أن تحيا البلد .
هذي الجموع لعرشي حصن وللكفر سدٌّ، هذي الجموع لقصري باب يصد الأعادي ويدرأ الطوفان .
والآن يا إخوان ومن تبقى ومن تبقى أشيروا عليَّ كيف النجاة، من هجمة الطوفان ؟

أحد الحضور: نبني السدود ...

السلطان: وماذا بعد ؟

آخر: ونرفع الأسوار .

السلطان: وكيف لو مادسور تحت إندفاع المياه ؟

الأول: نبني مراكب فيها يكون طوق النجاة .

السلطان: هل يكفي هذا يا سادة ؟

ثالث: أشير أنا على مولاي .

السلطان: هات ما عندك أسرع، عل في رأيك خير .

الثالث: نترك الأرض ونمضي فبلاد الله وفرة .

السلطان: أَوَ تدعونا للهجرة ؟ بئس والله المشورة .

الثالث: هجرة مؤقتة، نعود بعدها إلى البلاد آمنين غانمين .

عمرو: قل آمين، نعود نأكل التراب يا رجل ؟!

نبهان: أجل أجل، نعود نأكل التراب والصخور إن نجد، هل يا ترى الطوفان، سيترك كفر الشمش كما كان، يزوره الربيع، ونستحم الشمس في فضائه، ويستظل البدر في أرجائه، هل

ياترى الطوفان سيرحم الأشجار، والبيت والجدار، في أرض كفر الشمس، قل قولاً آخر ياهذا .

السلطان: تريدنا أن نهجر الوطن ! الموت فيه عزة وهجره هوان، نموت في دروبه لندفع الخطر، عن أرض كفر الشمس، لن نهرب يا تاجر أسعد، لن نهدر بالهرب كرامة .

أسعد: عفواً يا مولاي أردت حمايتنا .

السلطان: والهرب الحل !! نهرب أين !؟ ولن نلجأ !! ونعيش حياة التشريد فأي هوان هذا قل لي ؟

أسعد: يا مولاي، حين تشتد العواصف، يهرب المرء بنفسه، قد قرأنا وسمعنا عن قبائل ...

السلطان: دع ما قرأت وما سمعت نحن لن نكون طعمة المخاوف، لن نترك البلد،،من قال مثل قوله فليرتحل عن أرضنا، تخيروا.. تخيروا معي .. معه...

- أنا معك
- أنا معك
- أنا معه
- انا.....

السلطان: لترفع الأيادي من يرغب أن يتبع أسعد فليرفع يده في الحال ..واحد .. إثنان .....إثنان .... إثنان. ضد عشرة، ليرحل الإثنان

- هيا يا أسعد هيا ..

أكرم: الكفر يا إخوان، للناس كل الناس، أم أن كفر الشمس للسلطان ؟

الكفر للجميع، أنترك الطوفان، ليغرق الجميع ؟

حيان: صدقت يا أخي فالكفر للجميع .

سعيد: ماذا نفعل لو رفض السلطان المطلب ؟

أكرم: ما من مهرب، سيلين السلطان ويرضى .

حيان: أتوسم خيراً يا إخوان، فلقد وصلتني أخبار أن السلطان سينصفهم .

أمجد: ينصفهم !! تحلم حيان، فالساسة طبعهم الظلم، والحكم بأيديهم سوط يلهب أجساد الضعفاء .

أكرم: لسنا ضعفاء يا أمجد .

أمجد: لسنا ضعفاء !! أولا تذكر كيف أقيم الحد علينا حين وقفنا لنواجه ظلم الأمراء ! أو لا تذكر تلك المحنة !؟ كم سقط على الأرض رجال رووا تربتها بالدم !! وسجون السلطنة إكتظت ... لا أعاد الله تلك الذكريات، ذكّرنا بحوادث حلوة .

سعيد: ما ذقنا للعيش حلاوة، منذ خلقنا وسياط السلطة تجلدنا ...

حيان: يبدو أن الفرج قريب .

نذير: ماذا يا حيان تكلم، هل عندك علم بالغيب ؟

حيان: أو تستهزيء، قد قيل بأن السلطان، في هذا اليوم وبالذات كشّر عن أنياب الأسد وألقى الأمر والوزراء والتجار المنتفعون،

في السجن لينصفنا منهم .

حامد: هي لعبته حتى تخضع .

حيان: لا ياحامد .

سعيد: أنا سمعت بشيء من مثل هذا الكلام .

حيان: وهنالك أنباء أحلى ستسر جُموع الفلاحين .

حامد: أشك في الأنباء .

حيان: ياحامد دعك من الشك، بأم عيني رأيت الجنود بين الشوارع معهم مسعود وسعفان، أو تعرف من هو سعفان ؟

حامد: هو سعفان القصر يلازم سلطان القصر فلا يتعب .

أمجد: وحياة السلطان مكارم لم يحظ بها حتى الإبن .

حيان: هو أهل للثقة .

نذير: لماذا ؟

حيان: قصته بالشرح تطول، قد جاء القصر كمملوك مدسوس ...

سعيد: ممن حيان ؟

حيان: من وزراء القصر ورأس الأفعى المدعو أبو ضرغام، جاء بسعفان الى القصر ليبلغه كل الأسرار .

نذير: سعفان مدسوس ! ولكن هو للسلطان ظل .

حيان: سعفان أدرك الخطر، وأخبر السلطان، تظاهر السلطان بالغباء وأبطن الجفاء، أظهر لهم اللين زماناً والآن تمنطق بالشدة .

جمع: السلطان ... السلطان مهيوب هو السلطان ؟

حيان: سلطاننا ؟

السلطان: سلطانكم ... ماغاب عنكم لحظة لكنه تأخر ...

حامد: سلطاننا المحبوب ما أعظم المفاجأة ! تعيش يا سلطاننا، نفديك بالقلوب

السلطان: شكراً حامد ما قصرت .

حامد: هو يعرفني !!

السلطان أعرف ما عندك في الدار، أعرف أولادك أصغرهم سالم هل مازال شقياً ينتقل بين الأغصان ؟

حامد: هو ماقلت .

نذير: هو يعرفنا قد عايشنا زمناً....

السلطان: وعرفت الأحوال، أنتم جندي، أنتم سندي أنتم للكفر المحبوب حماة ..

جمع: نحن حماة العرش حماة الأهل ونحمي كفر الشمس .

السلطان: هذه لحظة حلم، لا أصدق . ها هو الحلم تحقق .

حيان: أنت من أيقظ فينا العزم فأمرنا نلبي .

أمجد: ياسلطان الكفر أتينا لنعاهد أن نحمي الكفر، من غضبة ذاك الطوفان، نحن له سد نمنعه من أن يتحكم بالكفر، هي ذي الأجسام المشدودة تهدم جبلاً تبني تحفر .

السلطان: هذا ما كنا نتأمل لكن كيف ؟

سعيد: هل يأذن مولانا السلطان ؟

السلطان: قل وأنصح فالحكمة طبعك .

سعيد: يا مولانا كفر الشمس كما تعرفه محاط بجبال مرتفعة، نحفر حول جبال الكفر العظمى خندق، حين يتم الخندق نحفر قنوات يتسرب منهاالماء الى كل الوديان، فيزول الخطر عن الكفر .

السلطان: فإن طغى الطوفان ؟

سعيد: لا يمكن، إن قام رجال بإعادة ترميم السور .

السلطان: هذا منطق ، لكن من يبني من يحفر ؟ والوقت يكاد يداهمنا ؟

مجموعة: نحن نبني ونرمم .

أخرى: نحن للخندق نمضي .

أخرى: نحن نمضي لنشق القنوات .

حيان: لا تخش يا سلطاننا سيعمل الجميع، في الليل والنهار، ستعمل النساء سيعمل الرجال، سيعمل الأطفال في الليل والنهار، نحقق الهدف، نحوّل الطوفان عن مساره، هيا الى العمل ... هيا الى العمل يا أهل كفر الشمس، هيا لنحمي الكفر ونزرع الأمل ....

السلطان: ما أروع شعبي، ما أسمع ! جوعناكم، وظلمناكم، ونسيتم في لحظة صدق ألم الماضي ومعاناته، ما أعظمكم ... ما أنبلكم ... يا سعفان

سعفان: أمرك مولاي السلطان .

السلطان: خبرهم عن هذي اللعبة ، وضح للشعب الأهداف .

جمع: أصل اللعبة ماذا تعني يا سلطان..

سعفان: صبراً صبراً يا إخوان، أصل اللعبة أن الطوفان ومقدمه محض حكاية، وخيال السلطان إبتدع اللعبة وإختلق الطوفان ليواجه زمر الطغيان، ولقد حقق منها الهدف وعُرى كل وجوه الشر ..

السلطان: هي لعبة أو بها بانت أمور وأمور، عرت اللعبة وجه الطامعين، قد أشعنا في البلد، أن طوفاناً سيأتي فإذا السادة كل يتهرب، فعرفنا أنه الشعب إذا الليل تبدى أشعل الأجساد حتى يستبين الدرب نداح الضياء، إنكم يا أهل كفر الشمس أهلي، أنتم السند لسلطان البلاد، فلكم يا جند كفري ينحني السلطان إجلالاً ...

حامد: معاذ الله مولانا ....

أكرم: إرفع هامتك لنرتفع ونعلو يا سلطان الكفر، دمت لنا منتصب القامة تعلو هامك راي النصر.

السلطان: ياأصحابي، باب القصر لكم مفتوح في كل الأوقات، عِدوني أن لا يبخل منكم أحد بالنصح إذا إحتجت النصح .

جمع: نحن لمولانا أجناد.

السلطان: لعبتنا إختتمت .... سعفان

سعفان: أمرك مولاي السلطان .

السلطان: سجل ما أمليه عليك، يعقوب ونصر وزيران، حيان

وأمجدوسعيد ومجاهد ..... نواب الشعب . وإبن أخي مرشد خطواتي . والأرزاق توزع حالاً وزعها يا أكرم أنت، خذ معك نذيراً وعصام، لا تنسوا أحداً في الكفر، حان الوقت ليأمن شعبي ينفض عنه غبار القهر، لكن ويل ممن يطمع منكم أويعمد للغدر، ويل ويل ثم الويل .

هتافات: عاش السلطان المنصور، عاش السلطان المنصور.

أمجد: ياأهل الكفر، غنوا ليوم النصر .

سلطاننا العظيم، بعدله العميمم، قد بدد الألام، وحقق الأحلام، أحلام كفر الشمس .

سميرة شرباتي

احلام كفر الشمس

مسرحية

سميرة الشرباتي

أحلام كفر الشمس

مسرحية

الشخصيات

رجال دولة .
تجار .
أفراد رعية .

المشهد الأول

« تسمع من خلف الستارة همهمات، أصوات متداخلة يبين الصوت، يتضح، تلتقط الأسماع الكلمات التي لم تكن إلا ترداد كلمة الطوفان... الطوفان.. الطوفان.

« تتعالى الأصوات شيئاً فشيئاً، يمتزج بها صوت مناد فتخفت »

المنادي: سَمَعْ .. سَمَعْ.. سَمَعْ... سَمَعْ.... سَمَعْ..سَمَعْ

ياأهل كفر الشمس ، يا أهل كفر الشمس، إسمعوا يا أهل كفر الشمس، إسمعوا الأوامر، سلطاننا قد أصدر الأوامر .

سعيد: أوامرٌ أوامر، في كل يوم أمر، أوامر السلطان في ازدياد .

حامد: لن تنتهي الأوامر ، هيا هيا يا حيان، لنترك المكان .

حيان: لا يا حامد، لن أبرح المكان، حتى أرى وأسمع ، أوامر السلطان .

أكرم: دعكم من الكلام ، ولْنصغ ،للمنادي، هات يا رفيق، لعل في الأمر خيراً .

حامد: خيراً... ومن أين يأتي ونحن مثل الرقيق، مابين أمر وزيرٍ

وسيدٍ في السرايا .

سعيد: ما بين حين وحين يكون منا ضحايا .

نذير: أجل صدقتَ سعيد، يعقوب ما زال تحت السياط يجلد دوماً .

حامد: ونصر، ماذا جنى حتى يهان ويسجن .

سعيد: وغيرهم يا رفاقي، السجن ضاق بصحب لم يذنبوا...

حيان : دعوا المنادي ينادي في الكفر يلقي الأوامر، قل يا رفيق وبلغ، بما أتيت لأجله، مُرْ أهل كفر الشمس .

المنادي : الأمر ليس أمرا، بل قد أتيت لدعوة ، فسامحوني صحابي إذ قلت عندي أوامر لقد أُصبت بعقلي، خلطت فاعفوا..

حامد: تقول جئت لدعوة!! هل يدعو السلطان الأوباش ؟

المنادي: بل يدعو أخيار الناس

نذير: لست أنا .

أكرم: ولا أنا .

حامد: انت وانت أنا وسعيد لسنا من أخيار الناس .

المنادي: بل أنتم أخيار الناس، كل رجال الكفر الشرفا..

حيان: لست شريفاً بل من أوضَع خلق الله .

حامد: أنحن خير الناس ؟ ترى أتسخر منا ؟

المنادي: بل إن قوليَ جِدُّ، يدعوكم السلطان ، كي يسمع الآراء، في تلْكمُ الأنباء و...

حامد: يدعونا سلطان الكفر كي يأخذ رأيا للناس؟ ومتى كنا عند السلطان ذوي رأي ؟ أترى ستكون لنا في الحضرة كلمة ؟ ! هل

يعترف بنا مولانا ؟

أكرم: هو ينكر أنا نمتلك كرامةً ولنا إحساس .

المنادي: إني أعذركم لكني جئت أبلغكم رغبته في أن يلقاكم وسريعاً ...

حامد: يلقانا وسريعاً ! تُرى رفيق ما السبب ؟

نذير: عجباً عجباً، ياإخوان يدعونا السلطان لقصره!! هذا أمر غير معقول، من يقرصني حتى أصحو من حلمي ؟!

سعيد: إسمع يا هذا وتعجب ! حامد: ما أغرب، أترى حقاً أنّي أُدعى للقصر وكيف سأدخله ؟

حيان: محمولاً...

حامد: بل قل مزفوفاً وعلى رأسي ريشة نصر .

أمجد: يكفي هذراً يا إخوان، قل لي وضِّح يا رفيق، هل دعوة سلطان الكفر، تشمل كل رجال الكفر ؟

المنادي: كل رجال الكفر نعم، فلاحون ومدنيون.

حيان: لا شك أن الأمر مهم ، هل نحن في خطر ؟

حامد: السلطان ولي الجاه! في خطرٍالله الله! ويريد لقاء الأوباش !

يضحكني هذا يا إخوة .

المنادي: ياأيها الحضور، لا تكثروا اللجاج

أكرم: بل نحن في إحتجاج ، يقتلنا ربع السلطان ويدعونا السلطان لقصره ؟

إني والله قد إحترت وحيرني السلطان بأمره ، هذا السلطان، الألعوبة، هي نكتة .

حيان: صهْ يا أكرم ، دع المنادي ينادي ليسمع الباقون.

« يتحرك المنادي، تتحرك المجموعة وراءه يكرر النداء »

المنادي: يا أهل كفر الشمس، يدعوكم السلطان، في الوقت والمكان .

رجل: كلنا ... كلنا .... يا أيها المنادي ؟

المنادي: كلكم يا أهل كفر الشمس، الأمر جداً خطير، لقد أتى النذير،

لينذر الجميع .

رجل ثان: هل نحن في خطر ؟

حامد: بل نحن في مصيبة ، مصيبة والله .

أكرم: مصيبة يأيها الصديق، نحن المصائب تمشي في ركبنا منذ كنا،

فكل يوم مصيبة، حتى إذا فارقتنا يوما سعينا إليها، عضت عليها النواجذ، وأمسكتها الأيادي كي لا تفر أيامنا في صفاء لا نستسيغ مذاقه .

رجل ثالث: لا تبالغ يا رجل ، إسمع نداء المنادي، قل يا منادي السرايا ، متى تكون الوليمة .

أكرم: يا الله ! ما أحمق ما قلت أتظن القصر مكان ضيافة ؟

الرجل الثالث: إني أسخر هل صدقت ؟ متى متى يا منادي

أكحل العيون ، برؤية السلطان ؟ متى متى يا منادي أشنف الآذان؟

إني مذهول يا إخوة .

الرجل الأول: وأنا مخبول والله ، قل لنا يا منادي متى يكون المَجْمَع ؟

المنادي: مع الأمراء مع الوزراء، بعد أداء صلاة الظهر .

الثاني: ونحن يا منادي ؟

المنادي: مع التجار مع الملاّك، بعد أداء صلاة العصر .

الأول: ونحن يا منادي ؟

المنادي: مع القواد مع الأجناد بعد ..

الثالث: أداء صلاة المغرب .

المنادي: أجل أجل أجل، بعد أداء صلاة المغرب .

نذير: رفيق ماذا تبقى ؟ متى يكونِ لِقانا ؟

المنادي: حظكم أنتم في الليل .

أكرم: حظنا في الليل ؟

المنادي: أجل أجل في الليل ؟

الأول: حتى نتعثر في العتمة ! !

حامد: حتى تهرب منا الحكمة !!

الثالث: لا لا لا يا إخوة، حتى لا تغلبكم صحوة !!

سعيد: حتى لا نتثاءب في الخلوة !!

أكرم: لا بل حتى يغفو العقل، ينحدر ويكون الفكر طريح فراش النعس الدافىء !!أخطأتم في حق السلطان، يا أهل الكفر تماديتم

المنادي: أخطأتم وتجنيتم، فالسلطان أراد الليل لكم ميعادا لتنالوا في القصر الحظوة .

أمجد: الحظوة !! الحظوة منتصف الليل !! ما أغربها هذي الدعوة !

المنادي: السلطان أعد لكم بشرى وموائد .

حيان: هي حفلة ؟؟

الرجل الثالث: إذا صَدَقْتُ حين قلت أنها وليمة .

سعيد: نتعشى عند السلطان ؟

المنادي: ولكم بشرى.

حيان: هذا من كرم السلطان .

حامد: ومتى كنا أهل الحظوة والكل على الفأسَ تقوّس لا يقدر أن يسند ظهره ؟

المنادي: أنتم عمال السلطان .

سعيد: ولذا نحني للسلطان الظهر ونخضع !! عمال، والخير لغير العمال يقدم، هل هذا عدل السلطان؟! أوشكت على القول بأنا من يهوى السلطانُ وينصف !!!

المنادي: ما جاوزتَ الصدق فأنتم عند السلطان الأشراف .

أمجد: دعنا من هذا التخريف، يأكل ما نزرع وينام على سريرٍ من صنع يدينا ..

سعيد: هذا معروف للكل، يأكل خير يدينا أبدا ولغير يدينا...

حيان: لا تكمل، فمنادي القصر له سمع يلتقط دبّات النمل .

سعيد: هو مرتقب لا متسمع، حتى لوسمع، فقد سمع سواي وقد أعلن ثورته، ولقد قلت الحق فنحن نكد ونتعب نعرق نهلك والوزرا عند السلطان يلمّون أخي كل الغلة .

حيان: يا سعيد، دعنا الآن من التشنيع، قل يامنادي القصر ما علاقة الفلاح بالسلطان؟

المنادي: لولا الفلاح لما عاش السلطان بخير ونعيم .

حيان: نعرف ما قلت ولكنا نستوضح عن أمر الدعوة ، هل يعرف سلطان الكفر الناس؟ تكلمَ معهم يوماً ؟ حتى ذاك القصر القائم في أجمل أطراف الكفر حرام أن ننظره..

حامد: لم نره، لم نعرف إلا السلطان المنصور بداخله ظل لا أكثر .

أمجد: والقصر محاط بالعسكر، من أوشك أن يقرب منه استوقف واستجوب في الحال، وعلى هذا الحال قضينا سنوات كسواد الليل، فلماذا يدعونا الآن ؟

المنادي: هو في مأزق.

حامد: في مأزق !! والأمرا أين ؟

الرجل الأول: والوزرا أحباب العين ؟

المنادي: الكل يعاني ...

جمع: من مأزق !!

أكرم: ما المأزق والكل يعيش كسلطان عند السلطان ؟!

سعيد: أو لم تسمع بالطوفان ؟

الرجل الثاني: كل يسمع بالطوفان، وسمعنا أن الطوفان سيجتاح قصور الوزراء

حيان: هذا هو السبب ؟!

حامد: لكن أليس من عجب، أن يستجير سيد بنا ونحن الرعاع ؟ فأين أهل الجاه ؟ وأين من والاه ؟ وأين راح صاحب الآراء عند الجد ؟ هل غاب عن سلطاننا وزيره الهمام، المدعو أبو ضرغام ؟

سعيد: أجل أجل أجل، أين أبو ضرغام ؟ ألم يكن للضرب والنزال، يلاحق الرجال، يصطادهم كأنهم كلاب ؟

المنادي: يا صديقي سعيد ، أنا مناد ولكن لا شك أنك تعرف، بأن كل رجال الكفر أهلي وصحبي .

سعيد: أعرف أنك منا، لكن قل لي ماذا نفعل نحن الشعب مع الطوفان؟ نحن رعاع أو تسمع ما كان يقول الوزراء، ما قيمتنا ؟

أكرم: في الشدة قيمتنا تظهر، وفي الرخاء عبيد، نحن الوقود اذا ما تهدد الكفر شر .

أمجد: لا لن نكون وقوداً

حيان: يا إخواني لن يحتاج الأمر وقوداً، بل درعاً يحمي الأوطان . وإذا لم نتقدم نحن فمن يتقدم حتى يحمي كفر الشمس من الطوفان ؟

أمجد: النية سيئة جداً، يريدنا السلطان، أن ندفع الطوفان، عن قصره المنيع .

نذير: يريدنا الطعام للطوفان، إن كان سيتركنا طعماً للطوفان

فلن نتقدم .

حيان: بل نتقدم .

جمع: لا لا لن نتقدم .

حيان: بل نتقدم ياإخوان، فالخطرمحيط بالكل، أرضي أرضك أرض الكل، والكفرلنا نحن جميعاً، هل نتركه للطوفان، ياإخوان، من أجل الكفر، سيضحي كل بالنفس، حتى يبقى الكفرعزيزاً، ماذا لو هلك السلطان، وتخلينا عنه جميعاً، أقسى من سيأتي رجل يمتلك الكفر وبالقوة، صونوا كفر الشمس وَضحّوا، إن عشنا سنعيش كراما أو متنا سنموت أعزه، ماذا قلتم، هل لبيتم ؟؟

المنادي : هل قلتم سنقوم الليل أمام السلطان المنصور ؟ هل أبْلغه أن الدعوة وصلت ؟

حيان: بلّغ .

حامد: لا لا ...

سعيد: بلّغ .. بلّغ .

نذير: بلّغ .

الرجل الثاني : لا .

جمع: بل بلغ بلغ نحن لكفر الشمس وقود، نحن لكفر الشمس جنود .

حيان : كي لا يجتاح الطوفان جوانبها يرتع ويسود .

جمع: بلغ بلغ بلغ بلغ نحن لموعده آتون، نحن لموعده آتون ، نحن لموعده آتون

المشهد الثاني

«السلطان المنصور جالس، مسعود وسفعان ورفيق بين يديه، يدخل رجال الدولة تباعاً !!

وزير الميمنة: أسعد الله الأماسي يا هلال السلطنة .

السلطان: أسعد الله مساءك، يا وزير الميمنة .

وزير: تحية سلطاني العظيم .

السلطان: تحية وزيري الحميم .

الأمير: تحية أبي .

السلطان: تحية بني .

شقيق السلطان: تحية أخي .

السلطان: تحية أخي .

-تحية ...

-تحية ...

.....

السلطان: تحية ياأيها الحضور، يامعشر الأمراء والوزراء والنواب، تحية يا عصبة الأصحاب، لقد رأيت جمعكم لنكشف

الغطاء للجمهور، ونفتح الصدور، حتى يعم النور كل قلب .

شقيق السلطان: أترى يا مولانا اليوم تريد الكشف عن المستور ؟

السلطان: وسنعلن للناس جهارا أن الكفر اليوم مهدد .

وزير: لا يامولانا لا تفعل .

وزير: الحذر الحذر فلا حاجة .

السلطان: لا حاجة والكفر مهدد، والخطر محيط بالأمة، لا بد....

الشقيق: ولكن مولاي، إن كشف الأمر وأعلنا للناس الخبر فلن يصغوا، لن ينفعنا منهم واحد .

السلطان: ولماذا قل لي نوِّر لي دربي .

الشقيق: سيقولون الكفر أمان، فهو محاط بالأسوار .

السلطان: هذا لا يمنع أن نعلن للناس عن الخطر القادم .

وزير: يا مولاي الخطر بعيد. وكما قلنا فالكفر محاط من كل الأركان بسور .

السلطان: لا يكفي، لا يكفي أبدا .

وزير: والدور محصنة جداً .

السلطان: دارك أنت، بل قل حصنك، حصن زميلك، حصن أخي، إبني وقصوري، وقصور النواب وأما ...

الشقيق: أما ماذا يا مولاي ؟

السلطان: أما الأكواخ الطينية هل تقدر أن تمنع خطراً؟

الشقيق: هل نحمل أثقال الشعب؟ ليحصن كل جدرانه .

السلطان: ليحصن !! لكن من أين والحالة..

الشقيق: حالتهم خير .

السلطان: تخدعني وتغالط نفسك .

الشقيق: لا لا لا يا مولاي، مرهم تجد العزم لديهم ينقل جبلاً من مطرحِه .

السلطان: ذاك لأن الواحد منهم يسعى ليؤمن مأكله، مأكل أسرته المحرومة مما ننعم فيه، وأنت تقول الحالة خير .

الشقيق: بل هم مولانا في خير، يعمل كل في موقِعِه، يشتغلون ويكتسبون ولا يدفع كل حصتهُ.

السلطان: يدفع حصتهُ وضح لي.

السلطان: أو لا ندفع نحن ضرائب ؟ فليدفع ....

السلطان: هل نأخذ من عامل حقل «غلبان »

الشقيق: ولماذا نحن ....؟

السلطان: كفاك إسمعني، أنتم تحتكرون الغلة وتريدون من الفلاح ضريبة عرقه !

وزير: يا مولاي، لو دفع الفلاح لكُنّا في وضع أفضل من هذا .

السلطان: كيف تفسر قولك قل لي .

الوزير: نجمع منهم، ونقيم على الكفر جدارا أعلى ونعيد القنوات .

السلطان: لكن من أين وكلهمُ يعمل في الكفر ولا يشكو ...

الابن: لا يشكو ! ولماذا الشكوى والسلطان لهم قد أعطى برعايته

كل أمان، وفَّر للعمال العمل، فتح لهم أبواب الأرض ليعمل كل حسب القدرة، من يشكو والعيشة وفرة ؟ ولماذا يشكون وممن ؟!

السلطان: ما أغرب ما قلت بني ! تتساءل ممن يشكون ؟ منك ومن أمثالك ...

جمع: منا ؟!

السلطان: من ظلم ذوي الحكم الشكوى، من كثرة ماعانوا صارت عيشتهم في الدنيا مرة، تمتصون دماء العامل منهم بالنكلة والملل .

وتقولون لديهم أجر ؟!

وزير: هذا يا مولاي نَجَنيّ، نحن فتحنا لهم الباب، تَدافعَ كلٌ يطلب عملاً. وتهاووا ...

السلطان: مالذي يجعل الفلاح يهوي طالباً شبه عمل ؟ أوليس الجوع يا نواب شعب الكفر، جوعتم بنيكم .

جمع: نحن جوعنا بنينا ؟!

وزير: كيف يا سلطان كفر الشمس ؟ هاهم كلهم ملأى البطون، كلهم جسمٌ شبابٌ والعيون تبرق الخيرات فيها .

السلطان: و «الكروش» المستديرة، والزنود البضة اللحم كما لحم النساء، لست أعني هؤلاء، أجل، أجل، أولادكم في الخير ينعمون، للخزِّ يرتدون، أولادكم يلهون، والناس محرومون، ألا ترون أنهم في الحقل يزحفون ؟

وزير: من قلة المنون .

السلطان: بل من قلة الطعام، يحرم الفلاح نفسه، يعرى يجوع ويبرد، حتى يعيش بنوه .

الشقيق: هدىء أعصابك لاتغضب .

السلطان: لا أغضب ! كيف وأهل الكفر اليوم سيأتون الى هذا القصر ؟ ماذا سأقول إذا قالوا كلا لن نعمل ...

الإبن: لا يمكن .

السلطان: بل يمكن .

الإبن: لا لا يمكن أن يجرؤ أحد .

السلطان: ها أنت تقول كما قال السفهاء، الناس رعاع أوباش، لاتسمع للناس كلام، لا تعط الفرصة لفقير كي يتحكم بالحكام، وتركتُ الحبل على الغارب فتماديتم، وانتشرت في الناس النقمة .

الشقيق: يا سلطان الكفر تغالي .

السلطان: إن كان السلطان يغالي قل لي ماذا تفعل أنت، أنت أخي قل ماذا تفعل لو كنت مكاني هل تأتي برجال الكفر على سخط منهم وتسخرهم سخرة ؟

الشقيق: الناس لمولانا طوع .

السلطان: تتملقني .

الشقيق: ليس تملق .

السلطان: فهو نفاق .

الشقيق: يا مولانا .

السلطان: مولاك ولكن في الصدر تخبيء أحقاداً وضغائن .
الشقيق: لا أخفي شيئاً وحياتك أنت أخي .
السلطان: لكنك خنت العهد وقطعت الأرحام، ولأن السلطان أخوك إزددت ثراءً ..
الشقيق: يامولاي، هذا ليس مكان العتبى .
السلطان: تدهشني كثرة أموالك من أين ؟
الشقيق: تعبي مولاي .
الوزير: مولاي تجارته تربح والربح يزيد على الوصف .
السلطان: صهٍ صهٍ ياوزيري، لا تلق بالاً لقولي، فأنت عندي أثير، ضياعك الموصوفة، قصورك المحفوفة، بكل صنف ولون من الثمار تنامت، من أين جئت أكانت لك الوزارة مكسب ؟ من أين أبا ضرغام ؟ هل الوزارة منهب ؟
الوزير: أنا ورثت ثرائي .
السلطان: ورثت ثراءك !! الأمر عندي واضح، ورثت جدك الأقرع .. أبوك كان مُكاري يكري الحمار بنِكْلَة، فهل ورثت كنوزه ؟ تظن أني أجهل أصل أبي ضرغام، وزيري الهمام !! لو قلت شيئاً كهذا، أمام طفل صبي لقال أنت مُلَفِقّ .
الوزير: هذا تجريح وإهانة .
السلطان: بل ذي الحقيقة أو لم تكن فقيراً ضعيفاً ؟
الوزير: وصرتُ تحت جناحك .
السلطان: فصرتَ فظاً عنيفاً، تدوس كل شريفٍ .

الإبن: مولاي رفقاً بِخُدنٍ جرَّحْته بكلامك .
السلطان: الآن صار كلامي سيفاً يجزُّ ويدمي وكلكم يارفاقي زينتموا لي المظالم، حتى إذا ما شبعتم دستم على الفقراء .
الشقيق: هل رُمْتَ جمع الصحاب، مولاي حتى يُهانوا ؟
السلطان: بل كي أذكِّر كلاً ببعض ما كان يعمل، بيني وبين الرعية، أوصدتم الأبواب، والآن كيف أقابل، أفراد هذي الرعية ؟ بأي وجه تكلم يا سيد الحاجب ؟ حجبت عني المظالم، منعتهم من لقائي ....
الحاجب: كان بأمر من وزرائك يا مولاي .
السلطان: نافقتهم إذاً ...
وزير: كَذبٌ مولانا السلطان، لم نأمره أن يوصد أبواب القصر أمام الناس .
السلطان: بل أعرف أن الوزراء، والأمراء، قد فعلوا ذلك ...
وزير: لكنك ما عارضت ولا عاقبت .
السلطان: فتماديتم وتطاولتم وظننتُ بأن الأحوال، قد تتحسن يوماً ...
الوزير: مولانا لم نأت لنكشف عيباً بل لنصون الكَفر، هذا ما بلغنا الداعي .
السلطان: الكفر بأمثالكمُ إنهار، قبل البدء بِصَوْن الكفر أريد صيانة أهل الكفر، خفتم من كشف المستور، هذا المستور كشفناه خلال الجلسة تتكشف للعين أمور وأمور، ما زالت في حكم

المشهد الثالث

« مجموعة من التجار يتبادلون الأحاديث بصوت منخفض، يدخل السلطان، يقف الجميع، يمر السلطان من أمامهم محييا بإيماءة من الرأس أو بإشارة من اليد، يجلس، يشير إليهم بالجلوس، بعد فترة صمت يتحدث السلطان »

السلطان: هل تعلمون أيها التجار ما سر دعوتي لكم ؟

همهمات: الطوفان... الطوفان ..... الطوفان...

السلطان: ما عاد الأمر سراً، لا شك فالأخبار، أصمت الأذان عن موعد الطوفان .

أحد التجار: عن موعد الطوفان، لا يا مولانا السلطان، نعلم بالطوفان، لكن متى يكون، فسِرّه مجهول .

تاجر آخر: قد سمعنا ما عرفنا، لم نزل نجهل وقته .

السلطان: الموعد إقترب، فكيف يا تجار كفر الشمس، نقاوم إجتياحه للناس والمكان ؟

تاجر ثالث: ياسيد البلاد، الناس في أمان، والكفر في أمان،

فما الذي تخشاه إنْ تَطاول الطوفان ؟

السلطان: أنحن في أمان ؟ من أين والمكان عرضة ...

التاجر الأول: مكاننا أمين، وكفرنا تحيطه الأسوار .

السلطان: لكنه الطوفان يا شاهبندر التجار، أتجهل الطوفان ؟ من يجهل آثار الطوفان يكون غبياً، ألا تبصر ؟

الاول : ياسيدي السلطان، نحصن البلد بالصلب والإسمنت، نوسع الأفاق، نجدد السدود .

السلطان: ومن يقوم بالعمل، والوقت قد أزِف ؟ الوقت ليس ملكنا، الوقت للإعصار .

الثاني: مُر الجميع بالعمل، في الليل والنهار .

السلطان: من الجميع قل لنا ؟

الثاني: هذا شعبك يامولاي، مُرْهُ تجد القدرات .

السلطان: مثلما قالوا تقول، شعبي!! هذا الشعب الجائع يتولى عنا التحصين ينحت في الصخر ولا يجد لقيمات تمنحه القدرة!!

الثالث: الناس يا مولاي متخمون .

السلطان: تضحكني والله ضخامة كلمات لا تحمل معنى، الناس متخمون ... أجل .. أجل .. بالفقر متخمون، بالقهر متخمون، بالكد متخمون، من أين والقرش عزيز المنال ؟ هذا هو السؤال، هذا هو السؤال .

الأول: الكل يا مولاي يعمل .

السلطان: بلقيمات لا تكفي أن تمنع جوعاً وخزائن تجار الكفر

تضج بما فيها من مال ومخازنهم تحت الأرض تخبيء قوت الشعب، ألستم تتجرون بقوت الناس؟

أين الشفقة ؟ أين الرحمة ؟ هل ماتت عاطفة القلب، تجمد في القلب، الاحساس ؟ ياتجار الكفر أسأتم للناس الضعفاء شبعتم فتماديتم .

الرابع: يامولانا

السلطان: صه يا عامر، إسمك عامر، هل تعرف مامعنى عامر ؟

الرابع: عامر يعني لي الاعمار .

السلطان: لكنك تهدم لا تبني .

عامر: لست أنا من يهدم صدق

السلطان: رجل آخر !! من منكم في القاعة عامر ؟

جمع: هو لا غير .

السلطان: تهدم يا عامر أخلاق الناس وتتظاهر بالعفة !!

عامر: هي تهمة مَنْ حمل الحقد .

السلطان: من يحقد وبنفسي زرت مواخيرك حتى أتأكد .

عامر: ليست لي .

السلطان: بل أنت أدرت بنفسك منضدة الإفساد، تسرق بالخمرة والميسر ألباب الناس لتهدمهم.

عامر: صدقني طوعاً يأتون، لا أجبر أحدا واسألهم، سل هذا، هذا أو ذاك .

السلطان: طوعاً!! بل شيطانك أغرى أنفسهم فتتهاووا عندك

وتُقابلُ كُلّاً بالبشر، ما أوجع هذا يا عامر يا خرب القلب ألا تخجل ؟

الثالث: مولاي الحاجة تجبرهُ .

السلطان: تجبره الحاجة يا عاصم، أو تنفي عنه الأثام ؟!

عامر: هي والله الحاجة كانت .

السلطان: قسمك مرفوض وضياعك تشهد أن لا عذر لديك، ومخازنك الكبرى أولا تكفي كل أهالي الكفر، شركاتك في الخارج تنمو .....

عامر: مولاي كلام يتردد، حسد الحاسد .

السلطان: بل ياعامر تلك حقائق، إقرأ ياساعينا إقرأ علَّ التجار يفيقون .

الساعي: بعد التحية والسلام على مولانا السلطان أبلغكم أن مواطنكم عامر السكران، قد إستشرى به داء المال، فهو يتَّجر بأقوات العباد، ويزرع في الأرض الفساد، له في كل بلد شركات، تكدس الأقوات منتنظرةً حلول المحن، لترفع الثمن، هذا بالإضافة الى أنه ووزيرك

أبا ضرغام يشتريان النفوس بالفلوس، يجهزانهم بالسلاح، ويعدانيهم بأعلى الرتب، حين يأتي الأوان، ويستوليان على عرش السلطان، راقبهما في الحال، لتعرف الأحوال .

عامر: هذا هوالغباء، أمجنون أنا أم أحمق، حتى أفكر بهذا المنطق ؟

صدقني يا مولاي، هي غيرة الحساد ..

السلطان: لا تدفع عن نفسك تهمة، فالشبهة دارت من حولك منذ سنين، وعيوني تترقب خطوك، أخبره يا حاج رشيد .

عامر: الحاج رشيد ..!! قل للسلطان بما تعلم، هو يعرف عني مولاي، أكثر ما أعرف عن نفسي، فهو صديقي، وزميل طريقي في العمل وجاري الحائط لِزْقُ الحائط .

السلطان: أعرف هذا، أعرف وصدقتَ بما قلت، يعرف عنك، أكثر ما تعرف عن نفسك إن كنت بنفسك وهواها لا تعلم فرشيد يعلم .

رشيد: اعلم يا مولاي بأن التقرير السري صريح، والتهم وما تُليَ علينا من أقوال المخبر صدق .

عامر: أصديقي تتهم وتكذب؟

رشيد: لا أكذب .

عامر: بل تكذب .

رشيد: لا لا لا أكذب .

عامر: بل تكذب .

رشيد: لا لا مولاي النجدة من شره .

السلطان: يكفي، قيِّد يا مسعود التاجر، ألق به جبَ الرعب، حتى نتخلص من شره، وكذا قيد ذاك وذاك المتآمر مع عامر، فالقائمة انتهت الآن .

سعفان: مولاي القائمة تطول .

السلطان: أعرف ياسعفان ولكن من يتآمر ضد الدولة هو أخطر من أن نتركه والباقون لهم وقفات .

أحد التجار: هل نحن «وقعنا في الفلقة » ؟

السلطان: كل يعرف موضع قدمه، ما تخيفه نفوس البشر مهول حَدّق في الباقين أجسام وعيون قلقة .

تاجر: يامولانا نحن براءٌ من تهمة عامر ورفاقه، فلماذا نخشى ما دُمْنا خارج لعبتهم مولانا ؟

السلطان: أولستم تختزنون القوت الى أن تتعالى الأسعار، فتبيعون بسعر الذهب رغيف الخبز، أيموت الناس من الجوع !؟

الاول: الأسعار تزيد علينا ...

السلطان: بل أنتم من أتقن لعبة رفع الأسعار المتكرر، من أين سيقتات الناس ؟ لا عمل يفيهم بالحاجة، كيف أقابلهم وأقول أطيعوا قل يا سعفان ؟

السلطان: قصدي أن الخير كثير عند التجار الجشعين، فاذهب مع نفر من جندي، وإفتح أبواب مخازنهم، وائت بقائمة وافية عن كل المخزون لديهم .

أحد التجار: ضعْنا .

آخر/ عمرو: ماذا يقصد يانبهان ؟

نبهان: لاأعرف يا جاري عمرو .

عمرو: أيصادر كل الأموال ؟

نبهان: لا لا لا يا عمرو .

عمرو: بل حدق تجد النظرات، تتوعد ..

نبهان: قل شيئا خيراً من هذا، أيكون التقشيط مراده ؟

عمرو: خفض صوتك .

نبهان: إني أهمس .

عمرو: لكن للشفتين القدرة أن تكشف همسك وتنم، والسلطان ذكي جداً.....

نبهان: من أين وقد كان صديقاً للنوم ألم ينسى الدولة؟ كم قلنا السلطان غبي ...

عمرو: بل قلنا إن السلطان بأيدينا يتحول دمية، فنحركها كيف نشاء .

نبهان: وكذلك رأي الوزراء .

عمرو: والأمراء، لاتنسى، حتى الأمراء، جعلوه حديث مجالسهم يتندر كل بحكاية .

نبهان: لكن يبدو أن الأمر تجلى للسلطان فثار .

عمرو: لا بل قل كان السلطان يسايرنا، يترقب وضعاً كنا فيه نظن النوم على فكر السلطان تَسوُّد .

نبهان: هو أعمق من ماء محيط هو أدهى مما نتصور .

عمرو: هو والله بدا لي طلْسَم، لا أملك ترجمة فعال جاءت بغتة، وانقلب السلطان علينا .

نبهان: لاتتكلم هاهوذا مسعود تقدم .

أحد التجار:السلطان يراقب، كُفّا، لا تَقعا في الندم تنالا منه

اليوم عقاباً صارم، ها هو قادم .

السلطان: ماذا ياتجار الكفر، وعلام الهمس ألا نسمع، رَفّهْ عن نفسك يا عمرو .

عمرو: لازالت أيامك نعمى ولواؤك يعلو في الكفر .

السلطان: ما أجبنكم، «ينتف كل منكم ريشي» وتزيدون الآن نفاق، هذا ما أكره ..

نبهان: مولانا لا تغضب سلنا ما شئت ..

السلطان: أَو تَصْدُقُني القول ؟

نبهان: ونَردُ كما يحلو الرد .

السلطان: ما أطلب هو صدق الرد، لايعنيني حلو ردود .

عمرو: لاتغضب مولاي وسلنا .

السلطان: فيم الغمز وفيم اللمز وكلمات تبدو مستترة، قل لي عمرو .

عمرو: مولاي أعفيني .

السلطان: أعفيك ... ونبهان ..

نبهان: اعفيني مولاي، ليس على كَلِمٍ من جمرك .

السلطان: هأنذا أعفيكم، أصفح، لكن لن أسمح بمهانة شعبي لن أعفو عمن جوعهم عمن مرغهم في الوحل .

تاجر: إفعل مولانا ما شئت .

السلطان: لاما شئت، ولكن فعلي سيكون كما العدل يقول، والعدل يقول إذا شبع الشعب وأدركه الإنصاف، وتقاسمنا معه الزاد

أحس بقيمته في الكفر، انتصبت قامته، المهزومة حتى لو مال مع الفأس على الأرض سنيناً وسنين .

مسعود: مولانا سعفان وجند السلطان أتوا، هل أدخلهم ؟

السلطان: ولماذا تسأل أدخلهم كي تعرف منهم ما كان .

«يدخل سعفان والجند»

سعفان: هذي القوائم أتخمت بالمال والخير الكثير، لا حصر يا مولاي ...

السلطان: وَيدَّعون بأن سوء الحال قد عم البلد، قالوا بأن مخازن التجار فارغة ...

تاجر: مولاي تلك البضائع، مرصودة للشح .

السلطان: أعرف أعرف، ياسعفان .

سعفان: أمرك مولانا السلطان .

السلطان: خذ من العربات ما يكفي وصادر ما يخبأ في المخازن، إنقله للساحة .

سعفان : أمر مولاي مطاع .

السلطان: مسعود

مسعود: مولاي مرني ألبي .

السلطان: إذهب وساعي القصر، جوبوا بيوت الكفر، سجلوا الأسماء لا تنسوا أحد، لاتتركوا حتى الرضيع، سأوزع الخير العميم على الجميع، فالخير خير العاملين بأرضهم حتى تعود لها الحياة، والرزق رزق الناس، لا رزق اللصوص السارقين دماء هذا

أسعد: هيا قبل هجوم الليل.

السلطان: مهلاً مهلاً، قف وإسمعني يا أسعد قبل الترحال، ليكن معلوماً لكل، من يرحلْ لا يحملْ شيئاً من خير الكفر سوى أهله، وإذا ما إنحسر الطوفان، وحمينا الكفر بأيدينا، فاعلم يا أسعد وليعلم من رافقك بأن الكفر بريء منكم لن يتسامح، لن يغفر أبدا زلتكم .

رفيق أسعد: هيا هيا شدوا الهمة حتى لا يدركنا الليل .

السلطان: الويل لكم ثم الويل، من تيه وضياع نفوس وزمان تقضون عبيداً في أرض تنكر خطوتكم، والآن أشيروا يا قوم .

عاصم: مولاي أتسمح أن أبدي في مشكلة الكفر الرأي .

السلطان: قل يا عاصم .

عاصم: مولاي لدينا الأموال، ولدينا جمع العمال، فإذا أعطينا العمال المال وزدنا لهم الأجر، نحمي الكفر .

السلطان: هذا ما خططت ولكن كيف ومتى ومن أين سنبدأ، والطوفان قريب جداً موعده والوقت يمر؟

عاصم: أدع الناس تشاور معهم، فلهم في الأزمات مواقف، فهم الأرض وزند الأرض .

مجاهد: هم مولاي حماة الأرض، فهي على أيديهم تحيا، ولهم تفشي بالأسرار، هم فيها ولها غنوا، عرفوا ما تحتاج الأرض .

السلطان: أجل أجل يا مجاهد، لا شك أنت مصيب، أين المنادي رفيق ؟

رفيق: مولاي أمرك .

السلطان: أسرع، ولتدع كل الرجال .

رفيق: مولاي بلّغْتُ فاعلم أن الرجال قدوم .

السلطان: يا معشر الشرفاء، وعصبة الأوفياء، أنتم مع الشعب درعي، فامضوا لكي تستريحوا، قد كان يوماً عصيباً صَحّى لَدَيَّ المواجع .

عجبت من أمر قوم لا يدركون الحقائق، في الليل جاسوا دروبا تودي بهم للمشانق، إبني.. أخي.. وزرائي..تأمروا ضد عرشي، وتلك زمرة جشع قد حاولت دق نعشي ويل لهم من عقابي إذ ينتهي الطوفان، ويل لهم ثم ويل من أهل كفر الشمس، سينتهي الطوفان، سينعم المكان بالخير والأمان، بالخير والأمان، على يد الإنسان، إنسان كفر الشمس .

المشهد الرابع

« مجموعة من أفراد الشعب مع مجموعة من قادة الجيشين، يتواجدون في الساحة أمام القصر، يتجاذبون الأحاديث .

نذير: يا حيان، هل تعرف قصد السلطان، من تجميع الفلاحين ؟

أكرم: والعمال، والصناع، نسيت بأنا في الكفر، ولنا فيه مَنْبتُ أصل ! أم أنا من غير أصول تتجذر في هذا الكفر ؟

حيان: يا أكرم دعك من الاصل، قل لنذير ماذا يبغي السلطان وما هذي الجُمْعة، يبدو أن نذيراً أطرش، لم يسمع ماقال رفيق، نسي الموضوع برمتهِ .

نذير: لم أنس ولكن أتعجب .

سعيد: لا تعجب فالأمر خطير، يبدو لي السلطان مهدد .

حامد: ليس السلطان ولكن الكفر برمته قد هدد .

نذير: أيهدد طوفان أمة ؟

أكرم: أما قرأت ياأخي عن ذلك الطوفان حين أغرق البلدان، ولم يدع أحداً ؟ يبدو نذير غائباً وليس في البلد .

نذير: بل في البلد أنا من زمنٍ وتوقفت عن الترحال، حين علمت

بأن الكفر يهدده طوفان قادم.

حامد: إذاً لماذا التساؤل ؟

نذير: ياحامد أتساءل دهشاً، يذكرنا السلطان اليوم وقبل اليوم تخلى عنا، لم يعرفنا، كنا نَكِرةً .

سعيد: تعلم يا نذير، والقول للجميع، بحيرة السلطان في مقدم الطوفان .

أكرم: هل كما قال رفيق يبتغي منا المشورة ؟

حيان: لم لا يأخذ للناس مشورة ؟ نحن في الأرض ربينا .

حامد: إذاً فأنت يا حيان، ستقاوم الطوفان ؟

حيان: سبق وقلت بأن الكفر بحاجتنا يا كل الصحب، أو لم يتفق الإخوان، حين دعا داعي السلطان، أن نأتي ونلبي الدعوة، ونطيع الأمر ولو كان هلاك الأنفس لن نتأخر .

حامد: بل قولك حق لكن ...

سعيد: يا حامد أو تبغي الرجعى ؟

حامد: ليس من طبعي التراجع، بل إني سأقدم عزمي ودمي حتى أحمي الكفر، لكني أتساءل ...

نذير: أنت الأخر عندك مطلب ؟

أكرم: كثرت أسئلة الإخوان، أتفرقتم بعد اللمة ؟ أتنازعتم حتى تفشل ريح الأمة ؟

حيان: لا يا أكرم، لم نتنازع، لم نفترق، أنظر تجد الكل حضور أو لم نتعاهد أن نأتي نتقدم من أجل الخدمة، فالكفر وثروته نحن

وتلك النخبة من أجناد الكفر ألست ترى فرحتهم بالوحدة، هي والحق يقال العظمة، أن نأتي مع جند الكفر، ولكن في الأنفس أسئلة تتوارد حتى نستوضح .

أكرم: ماذا تعني ؟

حيان: أعني ما يعنيه الأخوة ، معهم حق، جئنا لنلبي لكنا نحمل في الأعماق مرارة .

نذير: إنس الآن .

سعيد: ولماذا ننسى والفرصة سنحت ؟

حامد: ماذا تقصد ؟؟ بل ماذا يقصد حيان ؟ لكأني أسمع ألغازاً .....

أمجد: لا ياحامد، حيان تحدث بلسان الكل، هو يقصد يعقوب ونصر وبقية أبناء الكفر المسجونين أليس كذلك يا حيان ؟

حيان: هو ما قلت .

جمع: وإذاً كيف الحل الآن ؟

حيان: الحل لدى السلطان .

نذير: يقدمه السلطان .

حامد: الحل يقدمه السلطان

حامد: فإن رفض ؟

أمجد: نترك الطوفان للسلطان والأعوان ممن نافقوه .

أكرم: لا يمكن .

نذير: ولماذا قل لي ؟

سعيد: قد طالت حيان المدة، داستنا نحن الأقدام،

حيان: لكن السلطان استيقظ.

جمع: ونحن ماذا أفدنا ؟

نذير: وهل ترى يعنينا إن صار ليثاً هصوراً أو أرنباً، نحن شعب بين الأسود الضواري نضيع ....

حيان: بل يعنينا .

سعيد: أترى السلطان سينصفنا ويقيم الحكم على الباغي، لايمكن فالضعف صفاته .

حيان: يا إخوان إني أجزم أن السلطان سينصفنا ويجد في الكفر العدل سمعت من مقرب لديه بعض همس .

نذير: وما سمعت يا رجل ؟

سعيد: الهمس منذ ساعة في الكفر قد نُشِرْ .

أكرم: ما سمعت همساً .

نذير: وماعلمت بالخبر، لا تدعنا في قلق، قل وأوجز يا حيان .

حيان: صه صه صه هذا هو السلطان

همهمات : هذا هو السلطان !

نذير: هو مثلك مثلي حيان ...

سعيد: أعرفه هذا السلطان، أين رأيته !!

أكرم: أعرف صاحب هذا الوجه، ليس غريباً يا إخوان .

مسعود: يا أهل كفر الشمس، يا أيها الرجال... أتاكم السلطان، يزين المكان .

أمجد: عاش مولانا السلطان..... عاش مولانا المنصور... من ينصف المقهور ويرفع المظالم.

عصام: لا تبالغ يا رجل، كفاك بُحَّ صوتك، أخشى عليك البكَمْ، بِكَمْ يبيع نباحك، بكم صديقي بكم ؟

نذير: لا تلق بالاً قوله، فذا زميل معارض، يساره لا يمينه، يمدها للتفاوض .

عصام: يا صحب لست يميني، ولا يساري ولكن، أنا من الكفر أصلي، وفيه مالي وأهلي، أحب كفر الشمس، لكن هتاف زميلي أصم سمعي وهذا السلطان لا يستحقه .

حيان: بل يا أخي يستحقه، أَصْغِ إليه لِتَسمَعْ .

عصام: عله يفعل ما ينفع أهل الكفر كي يشفع له .

« يتقدم السلطان »

حامد: أنظروا يا قوم، هل أنا في حلم ! هل أخي يعقوب هذا ؟!

حيان: وعلى مقربة نصر وياسر، انظروا، ها هم جميعاً إخوة الدرب وحراس البلد، ألم أقل لكم ؟ ألم أقل لكم ؟؟

نذير: لقد عفا السلطان وأنصف الإخوان .

أكرم: هل نحن في صحو ترى أم نحن في منام ؟ إضربني كفاً يا حيان .

حتى أتأكد من صحوي، إضرب إضرب يا حيان .

حيان: قلت لكم ما صدقتم، الحال تغير يا إخوة .

أمجد: يبدو أن رعاع الناس اليوم لهم في السلطة حظوة .

سعيد: ها هم أنظروا نصر وياسر ومحمد يعقوب وأحمد يبتسمون لنا فلنرفع لهم الأيدي .

أكرم: عاش العدل ، عاش العدل .

أمجد: عاش مولانا السلطان .

هتاف: عاش السلطان المنصور عاش ليحمي كفر الشمس.

السلطان: يا أصحابي، يا شعبي ومنابت نسبي، لا أعشق هذي الكلمات .

فحياة السلطان وعيشه، بيد القادر لا بيديه، وحماية كفر الشمس لكم ولأجنادي الأحرار، لكن إصغوا الآن لقولي .

هتاف: نحن مصغون إليك، نحن مصغون تكلم

السلطان: هل تراخى من أحد ؟؟ لا أرى إلا...

جمع: كلنا بين يديك .

السلطان: لا أرى إلا القليل .

حيان: هل تأذن مولانا السلطان .

السلطان: قل ما عندك .

حيان: نحن في الكفر إجتمعنا وإتفقنا أن ننوب عن البقية، ورجال الجيش يا مولاي أبناء الجميع، فأتى منا ومنهم نفر حتى نبلغ، ساحة القصر تضيق .

السلطان: هذي بداية خير فيها إتحاد وقوة، ماأجمل الإتفاق، ما أروع التشاور، هلا أشرتم علينا في غمة قد ألمت بالكفر هاتوا النصيحة .

حامد: هل تقصد الطوفان يا مولاي ؟

السلطان: أجل وإياه أعني فالوقت قد أزف

حيان: مولاي لا تخف، فنحن للطوفان، إن قارب المكان .

السلطان: لكنه الطوفان يا حيان .

همهمات: حيان ... هل يعرفه السلطان ؟

حيان: أوتعرف إسمي يا مولاي، إني لهذا مندهش، قل لي ياحامد هل سمعت أذناك كما سمعت أذناي ؟

السلطان: تستغرب يا حيان، أن يعرف السلطان، رجاله وجنده،

همس: رجاله وجنده !! رجاله

السلطان: أجل أجل رجالي، أعرفكم فرداً فرداً، من زمن وأنا في الكفر أراقب أتحسس فيكم قدرات الشعب المعطاء .

أمجد: يا سلطان الكفر محال، لم نر وجهك قبل اليوم .

السلطان: بل يا أمجد يا إبن سرور، زرتك مرة، قدمت لي القهوة مرة، قلت السكر غالي السعر، ولذا نشربها سادة، والسادة شرب السادات وتندرت فقلت لئلا تتحكم فينا الداءات، مرض السكر بات ثقيلاً.....

أمجد: أذكر ذلك لكن كيف ؟

السلطان: هل تذكرون ذلك الغريب، إذ كان يأتي بائعاً يجوب أرض الكفر ؟

حيان: كان إسمه مهيوب .

السلطان: مهيوب هوالسلطان .

منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع البرنامج الانمائي للامم
المتحدة undp

سيرة الشربتي

قصائد
بحث عن
رُخَم
مُسْتَاخ